



الحياة الثانية والمؤانسة (بين الاستعراض والمتابعة على الويب 2.0)
Sociability and Second Life (between review and follow-up on Web 2.0)

د. فلاق شيرة صالح

جامعة مستغانم، fellagsalah@live.fr¹

تاريخ النشر: 2016/03/28

تاريخ القبول: 2016/2/19

تاريخ الاستلام: 2016/2/2

الملخص

تعتبر ثورة الويب 2.0 احد أهم التحولات التكنولوجية في العصر الحديث بحيث أثرت الأثر الكبير في بنية العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، إذ أصبحت الذات تخضع لمعايير مختلفة في استكمالها من جهة وفي معرفة الآخر من جهة أخرى، وأهم تلك الاختلافات هو تغير أنماط الاتصال بين الأفراد الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالهوايات الافتراضية عكس الوجود المادي في أنماط الاتصال التقليدية، وهذا ما نحاول معالجته من خلال هذه الورقة البحثية .

كلمات مفتاحية: الويب 2.0، المؤانسة الاجتماعية، الواقع السوسولوجي، الاستعراض .

Abstract:

Web Revolution 2.0 is one of the most important technological transformations in the modern era so that it has had a major impact on the structure of social relations between individuals, as the self has become subject to different criteria in completing it on the one hand and in the knowledge of the other on the other, and the most important of these differences is the change of patterns of communication between individuals, which has been closely related to the virtual hobbies reflecting the physical presence in traditional communication patterns, and this is what we are trying to address through this research paper.

Keywords: Web 2.0, Social Sociability, Sociological Reality, Review.

¹ إيميل المرسل fellagsalah@live.fr

مقدمة

فجرت الروابط الاجتماعية الافتراضية على شبكة الأنترنت، النسيج التقليدي، وخلقت أنماطاً حياتية مستحدثة وتجارب اتصالية جديدة من دون أن تحدث القطيعة مع الواقع الاجتماعي، حيث تستلهم التبادلات عبر المنصات الإلكترونية المعنى من مخيلة الأنثروبولوجي والقيم المتشعب بها، ولطالما توصلت الدراسات إلى أنّ الأنترنت وسيلة أتاحت التعويض للمستخدمين عن واقعهم المعاش وسمحت لهم بالتعبير والمشاركة وإنتاج المعنى بعدما عاد بمقدرتهم تملك وسائل الإنتاج والنشر، لكنّ التعويض بالعيش في حياة ثانية هو في الحقيقة امتداد لممارسات اجتماعية تظهر في مختلف الفضاءات العمومية بالتحديد لتظهر الفرد في أحسن صورة وأحسن سلوك..، هذا الاستعراض للشخصيات والقيم أو ما يعرفه هوفلاند بـ "دراما الاتصال" انتقل إلى التلفزيون فظهرت البرامج الاستعراضية أو برامج الواقع "Talkshow and reality"، وأصبحت تمثل راهن الشاشات التي تتمظهر أمام الأعين كما كينة للتسلية والترفيه، لتنتقل هذه الظاهرة تدريجياً نحو المنصات الإلكترونية على الويب 2.0، أين تستعرض المنظومات الفردية أمام المستخدمين في الفضاء المشترك السمات والآراء والمواقف والسلوك، زيادة على الاستعراض الاقتصادي بمختلف تفاعلاته وأبعاده.

الإستعراض على الويب "Webshow" للمستخدمين في الجزائر المستمد من الواقع الاجتماعي، فسح المجال بالمقابل لتمثّل ظواهر اجتماعية أخرى في الحياة الثانية، منها المتابعة أو التتبع عبر روافد تدفق المضامين وتداولها على مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات والمنتديات والمواقع الرسمية والمهنية، وجعل الكلّ يراقب الكلّ ويجتهد في استغلال الأدوات التكنولوجية التي تتيح عدم إغفال المحتوى المشخص حسب الحاجات والرغبات أو حسب الطلب، وهو ما يدلّ على ضعف الروابط الافتراضية وقوة المؤانسة على شبكة الأنترنت. وهو ما نحاول عرضه في هذه المداخلة من خلال تقديم قراءة سوسيوثقافية عن أبعاد استخدام المنصات الإلكترونية في الجزائر وعناصر من الحراك الاجتماعي المرتحلة نحو الحياة الثانية.

1 البيئة التواصلية الحديثة امتداد للواقع السوسيوولوجي

تعتبر المواقع الإلكترونية الاجتماعية امتداداً للحياة الاجتماعية مثلما تعتبر الوسيلة امتداداً للحواس الفيزيولوجية حسب مارشال ماك لوهان، ذلك أنّها تسمح بالقيام بعدة وظائف هي في الأصل منقولة عن الواقع السوسيوولوجي، على رأسها التفاعل بمختلف أشكال الاتصال والتواصل، والتعبير عن الذات والحوار مع الآخر والتعرّف عليه وعرض التجارب والعواطف والمشاعر الخاصة والإطلاع على تلك التي تخصّ الآخر، حيث تبقى الحاجة ملحة للاتصال كفعل إنساني مشترك بغضّ النظر عن الفضاءات التي يمارس فيها، ويذهب مارشال ماك لوهان إلى أبعد من ذلك حين يرى أنّ وسائل الاتصال أعادتنا إلى العصور القبلية الأولى التي كانت قد فصلتنا عنها قرون من التعليم، ذلك أنّ هذه الوسائل تسمح بإزالة الفواصل الزمنية والجغرافية والاتصال المباشر عن طريق أشكال متطورة.

التحوّل نحو استخدام المنصات الإلكترونية التفاعلية في الجزائر، قد يكون متباطئاً نظراً لتظافر عدّة عوامل لكنّه ملاحظ ومحسوس، حيث تشير مختلف المعطيات إلى هجرة عدد كبير من القراء والمستمعين والمشاهدين لوسائل الإعلام التقليدية



نحو البيئة التواصلية الافتراضية، إذ ترجّح الدراسات أنّ هذه المحجرة مرّدها إلى خصائص الوسيلة في حدّ ذاتها وهي شبكة الأنترنت أو الأجهزة التي يمكنها الاتصال بشبكة الأنترنت. مع ما توفره من وفرة في الخدمات المقدّمة ودرجة عالية من الاختيارية والمرونة وإمكانية القفز من مصدر لآخر عن طريق الروابط، أي أنّ المستخدم أصبح بإمكانه أن يستغني عن وسائل الإعلام التقليدية ويعوّضها بوسيلة واحدة جامعة هي شبكة الأنترنت بمختلف الخدمات الأساسية والمضافة التي تقترحها وتعمل على تجديد منظومتها بشكل يقارع الاحتياجات الحقيقية للمستخدمين. زيادة على أنّ المضامين المقدّمة في وسائل الإعلام الكلاسيكية لم تختف بل تقدّم أو تستعرض بفاعلية ومرونة في الزمن، إذ بالإمكان استرجاعها والتعرّض لها في الوقت الذي يرغب فيه المستخدم والمكان الذي يكون فيه، وهو ليس بحاجة إلّا إلى جهاز كمبيوتر أو هاتف محمول أو لوح إلكترونية من أجل تحقيق ذلك، وبالتالي فإنّ مختلف أنواع المضامين متاحة على مستوى البيئة الاتصالية الحديثة من أخبار أو تسلية وترفيه أو خدمات، ويمكن الوصول إليها عن طريق منافذ سريعة تعمل بخوارزمية الكلمات المفتاحية في محرّكات البحث أو اليوتيوب مثلا. كما أنّ المواقع الإلكترونية الاجتماعية أصبحت قناة مفضّلة لنقل واستعراض مضامين وسائل الإعلام التقليدية التي سارعت إلى استغلال هذه الفضاءات للتكيّف مع المستحدثات التكنولوجية والتطبيقات التي تخضع لها الصناعة الإعلامية.

2 استعراض الذات أمام الآخر من الواقع إلى الافتراضي

يعتبر الاستعراض سمة إنسانية، تمّ إدراكها قبل ظهور وسائل الإعلام، بحيث ينزع الإنسان إلى التباهي أو التفاخر بما يملكه من مقوّمات جسدية أو مادّية أمام الآخر، فيما يسمّيه هوفلاند بـ "دراما الاتصال"، أي أنّ الإنسان يعمد إلى التمثيل في حياته اليومية بمحرّد ظهوره أمام الآخرين، فيقدّم نماذج يرغب أن يكون عليها ويظهر بها أمام الآخر على أساس أنّه "هو"، ويخلق ذلك صراعية على المستوى الداخلي أي بين الإنسان ونفسه من أجل إخفاء الجوانب السلبية أو ما يدرك أنّه سلمي فيه، إضافة إلى صراعية مع الآخر تكون في شكل تنافس على الظهور في أحسن وجه أو في وضع أفضل، وتعتبر وسائل الإعلام والاتصال، محرّكا أساسيا لهذه النزعة الإنسانية، ومحرّقة على تكريسها من خلال النماذج المقترحة في الأفلام والمسلسلات ومختلف أنواع البرامج والإشهار، أي خلق الحاجة للتغيير وإدراك الأنا في ظلّ المقارنة بـ "الآخر"، وتتطوّر هذه الصراعية ليعبّر عنها بالاستعراض في الواقع أو عن طريق وسائل الإعلام والاتصال التي تنقل الواقع. الاستعراض تطوّر في السينما وفي التلفزيون بعدما سادت حضارة العين أو الصورة أو التمشهد، حيث أصبحت الصورة مرتبطة بصناعة تروم تقديم الأفضل للعين من خلال قيمة مضافة للصورة الواقعية، ورافق التلفزيون تطوّرات في التقنية، غيّرت من زوايا النظر للصورة وإدراكها بناء على نوعية كاميرات التصوير والإخراج والإضاءة والديكور والمؤثرات وغيرها من محسّنات الصورة الثابتة والفيديو.، كما انتقلت المضامين الإعلامية من مرحلة الرتابة التي كانت تظهر عليها الدراما والمادّة الخيالية نحو برامج الواقع والاستعراض، أي أنّ الصناعة الإعلامية الحديثة تركز على تقديم عروض مدهشة تبهر المتفرّج وتجعله يتوق لمتابعة هذه النوعية من البرامج مشدوها إليها، كما يمسّ الاستعراض في التلفزيون مثلا، مختلف أنواع البرامج بما فيها تلك البرامج الجادّة كالحصص السياسية التي توظّف التمسرح اللفظي (الأسئلة الاستفزازية، الصراخ، التناقض، الشجار... إلخ)، والتمسرح البصري من حيث الديكور والإخراج والتصوير والإضاءة وغيرها (Lchard, 2006, p96) وأيضا نشرات الأخبار التلفزيونية التي تعتبر استعراضا وتمشهدا (لعياضي، 2004، ص 62) والتي

أصبحت تعتمد في بعض الفضائيات على مخرجين سينمائيين يهندسون سيناريو لإلقاء الأخبار ويحولون الاستوديو إلى ما يشبه شبكة المسرح لتقديم العروض، بل أصبحت مختلف البرامج التلفزيونية تعتمد على الاستعراض والأسلوب الحكائي المثير للانتباه والذي لا يخلو من التمثيل أمام الكاميرا بغرض إبهام المشاهدين. وتوفر التكنولوجيا الحديثة مختلف الأدوات التي تمكن من الظهور بصور أخرى غير الصور الحقيقية تكون مثالية لدى أصحابها أو تغطي بعض النقائص التي يشعرون بها، أو تحقق حاجات معينة كانوا في عملية بحث عن إشباعها، منها الهويات المستعارة على مواقع التواصل الاجتماعي أو الهويات الزائفة وتقديم معلومات غير حقيقية في البروفایل والتباهي بنشر مضامين ليست بالضرورة انعكاسا لظروف وحالة المستخدم أو هي في العمق تفسير لحالته النفسية والعقلية والعاطفية، من حيث أنه يعبر بمضامين عمّا يعاني منه من نقص سواء بالإفصاح المباشر أو بالتعويض، فضلا عن البروفایل "الشبح" (Bediaf, 2014, p92) التي تستعمل في ظلّ مخيال معين من أجل تحقيق رغبة ما، منها تعامل نفس المستخدم بأكثر من بروفایل مختلف في التوصيف والسمات والمضامين.، لذلك تحوّلت المنظومات الإلكترونية الفردية والجماعية إلى فضاء مفضّل للاستعراض ما دام الاتصال يكون عن بعد وخلف الشاشة ولا أحد يدرك الآخر إلا من خلال المضامين التي ينشرها والهوية التي يتعامل بها، أي أنّ المستخدمين يعيشون حياة ثانية هي ما يرغبون فيه باستخدام أدوات التمثيل والاستعراض للقفز على النقائص التي يعانون منها في الواقع وتعويضها بالبدائل المتاحة، من خلال وظائف قد تكون بديلة أو مكّمة وتعويضية.

3 الحاجة لمتابعة الغير أنثروبولوجيا وتطور الأدوات

متابعة الآخر في سلوكاته ومواقفه وإنجازاته، نابعة عن الإحساس المشترك بـ "العيش معا"، أي أنّها ضرورة اقتضتها المعيشة في زمان ومكان معين، انطلاقا من اكتشاف الذات الذي هو في الأصل منبعث من المقارنة المزاوجة بين الأنا والآخر، أي لا يمكن اكتشاف الذات أو التعرّف عليها إلا بالنظر إلى الآخر والتفاعل الاجتماعي معه، وعليه فإنّ الملاحظة والمراقبة والمتابعة هي أدوات أنثروبولوجية لا تفارق الإنسان في الحياة اليومية، وتعتبر مصدر انبعاث سلوكات جديدة أو تجديد لحياته، استنادا إلى تقييم وضعيته الأولى ومحاولته الظهور في صورة أفضل منها قياسا بوضعية الآخر. شغف الجمهور بمضامين وسائل الإعلام سواء بالأخبار التي يطلبها يوميا وفي كلّ حين التي تشبع نهمه للمعلومات في شتى المجالات وتساعد على التعامل مع الظروف المعيشية بإدراك المستجدات والتعامل معها، وشغفه بباقي المضامين التسلوية والترفيهية والخدماتية، إنّما هو في الواقع متابعة لشؤون الغير ولشؤونه على ضوء ذلك، على اعتبار أنّه غير معزول اجتماعيا وأنّ العقد الاجتماعي للزمر التي ينتمي إليها يقتضي المشاركة على عدّة أصعدة، حيث يتابع الفرد ما تنشره الجرائد وما تعرضه الإذاعات والتلفزيونات باهتمام لأنّها تنقل قضايا حياتية للغير وبالتالي تنقل قضاياها، لأنّ كينونته الاجتماعية لا تظهر إلا في حضور الغير وتحقيق "فعل الاتصال لا يكون إلا بنقل معلومات في الفضاء" (Debray, 2000, p03)، وبالتالي فمتابعته لسلوكات الآخرين عن طريق وسائل الإعلام التي تنقل من وإلى الجمهور إنّما هو متابعة لنموذج حياته وحرص على مقومات الانتماء.

المتابعة لسلوكات الآخرين وتواجدهم في الفضاء العام ليس جديدا بل ينتقل من منظومة لأخرى وفقا لآليات التحديث والمستجدات التي يعرفها المجتمع، فقد ظهر منذ القدم اهتمام الإنسان بشؤون الآخرين سواء من ذوي القربى أو من قبيلته أو عشيرته أو بلده أو أبناء جاليته، ولا يعتبر ذلك تجسّسا بقدر ما هو حاجة اجتماعية يفرضها العقد الاجتماعي وإن

كانت الخصوصيات أو الحياة الخاصّة غير مرغوب في انكشافها لدى الآخر، إلا أنّ فضولا قويًا يبحث عن الإشباع باقتحامها وجعلها مادة دسمة تؤثت الحياة اليومية للأفراد، لذلك فإنّ هناك صلة قويّة بينهم وبين الوسائط التي تساعدهم على متابعة شؤون الغير وطريقة حياتهم، وتفاعلا ملحوظا مع التحديث الذي تعرفه هذه الوسائط، منه الاهتمام بالمضامين الإعلامية على اختلافها كالرغبة في التعرّف على حياة الآخرين في مجتمعات متعدّدة ثقافيا وجنسيا وعرقيا وحضاريا، والتركيز على تفاصيل تعزّز الاختلاف ومتابعة مختلف التطوّرات التي تطرأ على الآخر المختلف، فيظهر مثلا اهتمام بالغ بالأفلام الأجنبية والمسلسلات التي تنقل واقعا مغايرا ونماذج حياتية مختلفة، كما هو الاهتمام بما تنقله وسائل الإعلام عن الذات أو الأنا، ما يجعل الفرد يكتشف ذاته ويلقّن نوعا من الوعي حول واقعه المعاش. هذا الاهتمام بالمتابعة انتقل في البيئة التواصلية الحديثة إلى شبه مراقبة مستمرة لآخر، في إطار منظومات إلكترونية فردية وجماعية مشتركة تتيح تقاسم المضامين المنشورة وتعزّي الخصوصية في نسيج اجتماعي علائقي يحدّد المستخدم ملامحه عن طريق مجموعة من الأدوات التكنولوجية المتوقّرة للإستعمال على نحو قاعدي، وبدرجة سهولة ومرونة عالية، زيادة على خضوعها للتحديث المتواصل. وتمكّن هذه الأدوات على مستوى المنصّات الإلكترونية التفاعلية من الانكشاف على الآخر بطريقة اختيارية أي القصد في السماح للغير بمتابعة المنشورات أو المضامين أو الأنا المتدفّقة، فيما تقوم المواقع الاجتماعية مثل فايسبوك على قواعد هي مشاركة شبكة الأصدقاء المضامين الشخصية وهو ما يسمّيه بيار ليفي بنهاية الجمهور وولادة الذات الجماعية المنبثقة عن المنظومة التفاعلية الإلكترونية (انتصار، الساموك، 2011، ص 24)، بمعنى أنّ العقد الذي يربط مجموعة المستخدمين في الفضاء الافتراضي هو الترخيص لأعضاء المنظومة الفردية أو الجماعية بمشاهدة المضامين الشخصية ومتابعتها.

4 اجتماعية "الحياة الثانية": اتصال أم انفصال؟

بتوقّر الاستعراض والمتابعة، على البيئة التواصلية التفاعلية، تتوقّر إحدى مقومات الحياة الثانية الافتراضية، التي تجعل المستخدم يعيش في نسيج علائقي اجتماعي غير واقعي، يضطلع بأدوار مختلفة تعكس رغباته الحقيقية التي لم يستطع تحقيقها فعلا في الواقع كـ "التعويض الاجتماعي و التيسير الاجتماعي" (عزي، بومعزة، 2010، ص 90) من خلال تسهيل ربط العلاقات، أو تكون امتدادا لشخصيته وواقعه المعاش، بحيث يزيد اعتماده على وسائط الاتصال الحديثة كلّما عجز عن إشباع حاجاته بالطرق الطبيعية، إذ تعتبر من بين الأسباب المهمّة التي جعلت المواقع الإلكترونية الاجتماعية على الويب 2.0 تحظى باجتماعية أكبر وتخدق من قبل المستخدمين في جماعات ومنظومات ذات هويّات متفرّقة، هو توقّر طابع الاجتماعية اللامحدود، أي تجاوز إكراهات الواقع المعاش وخضوع الحياة الثانية لضوابط المستخدم الذي بإمكانه أن يحدّد هويّته وينتقي مضامينه ويرسم معالم شبكة الأصدقاء الذين يتواصل معهم أو يشترك معهم، بحيث تكون هذه الضوابط التي يضعها تشريعا خاصّا به لإدارة المحتوى قابلا للتغيير في أيّ وقت، ويسخّر من أجل ذلك مجموعة من الأدوات التكنولوجية التي تسمح له بالحذف من قائمة الأصدقاء على الفايسبوك مثلا أو إلغاء المنشور أو المتابعة أو غيرها، بمعنى أنّ الحياة السوسيوإفترضية التي يعيشها المستخدم في واقعه الإلكتروني أو الاجتماعية عن بعد، تكون وفقا لخياراته، محدّدة العوالم بضوابط شخصية قد تكون ثابتة أو متبدّلة، وليس مفروضة عليها كما هو في الواقع، وفي هذا الإطار يمكنه أن يقفز على مختلف النقائص والعقبات التي تجعله فردا إيجابيا ومثاليا في المجتمع الافتراضي، مضطلعا بدور



القيادة، أو واعظا أو مواطنا فعلا على سبيل المثال، ينتقي ما يشاء من الصور والوضعيات التي يريد أن يظهر بها ويستعرض ذاته بها لدى الآخر، وبالتالي فإنّ الحياة الثانية التي توفّرها العدة التكنولوجية تسمح بالمؤانسة مع الآخر والحوار الجماعي وفقا لشروط المستخدم وقواعد العقد الاجتماعي لديه، إذ يتفاعل على هذا الأساس مع الآخرين ويحقق رغباته ونزواته بطرق لم يكن لديه المجال لتملّكها في واقعه الحقيقي، وهو نوع من الإشباع الذي يحدث افتراضيا ويحقق درجات الرضا لدى الذات ويجعلها تميل إلى العيش في الحياة الثانية أكثر من الحياة الواقعية حتّى ولو كان يتجاوز الحدود الأخلاقية، إذ لا يجد المستخدم حرجا في ذلك مادامت لديه القدرة على التخيّي وراء هويّات مستعارة وحسابات مجهولة.

الانتقال من السياق الاجتماعي الواقعي إلى السياق الافتراضي، يعتبر "مغامرة في عالم شبيه" ² (Courbet, 2003, p137) أو حياة ثانية تصوّرها وسائل الإعلام وتنقلها للجمهور، بينما يعيشها فعلا في ظلّ استخدامه للمواقع الإلكترونية التفاعلية وقد يكون لها تأثير على إدراكه للواقع وإنشائه لهويّته من خلال تعايشه مع الروابط الجديدة والمضامين المقترحة من قبل المجموعة المكوّنة للفضاء، وانغماسه في التدفّقات الهائلة والمجهولة المصدر أحيانا، كما تعتبر الحياة الاجتماعية الثانية على المواقع الإلكترونية التفاعلية بالويب 2.0 مصدر قلق بخصوص تحطيم الروابط التقليدية، وجامعة في نفس الوقت ما بين المحليّ والمعولم والخصوصية والعمومية، كون أنّ الخطوط الفاصلة بينها تكاد تختفي حسب الاستخدام والتجارب الاتصالية المسجّلة.

قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم عبد الرزاق انتصار، صفد حسام الساموك، "الإعلام الجديد، تطوّر الأداء والوسيلة والوظيفة"، ط 1، بغداد، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، سنة 2011.
- لعقاب محمد، "المواطن الرقمي: كيف ساعدت تكنولوجيا المعلومات الثورات العربية"، ط 1، الجزائر، دار هومة، سنة 2011.
- 2- عزي عبد الرحمن، السعيد بومعيزة، "الإعلام والمجتمع، رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية الإسلامية"، بدون طبعة، الجزائر، دار الورسم للنشر والتوزيع، سنة 2010.
- 3- علي قسايسية، "تكنولوجيات الإعلام ودراسات الجمهور في المجتمعات الانتقالية، حالة الجزائر"، "مجلة الإتصال والتنمية"، ع1، بيروت، دار النهضة، أكتوبر 2010.
- 4- لعياضي نصر الدين، "وسائل الإعلام والمجتمع، ظلال وأضواء"، ط 1، الإمارات العربية المتّحدة، دار الكتاب الجامعي، سنة 2004.

5- Antonio .Cassilli, "les liaisons numériques, vers une nouvelle sociabilité », édition suil, Paris, 2010.

6- Bediaf Linda, « journaliste 2.0, usages et dilemmes des journalistes contemporains », Paris, L'harmattan, 2014

² Sous la direction de Didier Courbet, et Marie Pierre Fourquet, « la télévision et ses influences », 1 ère édition, Deboeck université Bruxelles 2003, p137.



7- Guy Lochard, “l'information televise, mutations professionnelles et enjeux citoyens”, France, Yubert, 2006

8- Regis Debray, « introduction a la médiologie », 1 ère édition, Paris, Presse universitaire de France, 2000